

(٤١) الشتمة بالناس

الشتمة بالناس خلق عام إلا من عصم الله أو أدب بأدب الدين . تعريف الشتمة : قضى الاسلام على مظاهر الشتمة وكاد يلاشيها . إنتشار الشتمة بين المسلمين في هذا العصر على الرغم من أن الدين يحرم ذلك ويعده فساداً في العقيدة وحطة في النفس . ليس الموت موضع شتمة لو عقل الشامتون . ما جرى على لسان كسرى مع مبشره بموت بعض الملوك من أعدائه . واجب المؤمن العاقل مع من يصاب من الناس . الشامت غرّ أحق . الشتمة دلالة من الشامت على أن من شتم فيه كان خيراً منه وأعلى منزلة . الشتمة تخرج صاحبها من حظيرة الدين وتحتقره في زمرة الهالكين . واجب المسلم عند نزول المكروه به أو بغيره . التحذير من الشتمة .

قال الله تعالى : (إن تمسكم حسنة تسوؤم ، وإن تصيبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ، إن الله بما يعملون محيط » . . . الشتمة بالناس خلق عام في النفوس لا يخلو منه أحد إلا من نزهه الله تعالى عنه ، وخالط قلبه نور الدين وهداية الإسلام .

والشتمة هي سرور النفس بمساءة الغير . وكان هذا الخلق منتشراً في الجاهلية ، لعدم الزواجر الدينية . فلما جاء الإسلام وهذب من طباع الناس وعلمهم أنه لا يصيب المرء إلا ما كتبه الله عليه ، وأنه لا حيلة للإنسان في دفع ما جرت به المقادير . إذ قال الله تعالى لنبيه الكريم « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا » لما جاء الإسلام بذلك اختفت آثار الشتمة نوعاً ما ومن الغريب أننا ونحن مسلمون نشاهد هذه الصفة في كثير من الناس .

فزاهم إذا نزل ملمّ بعدوم (مع أنه لا ينبغي لمؤمن أن يعادى مؤمناً) طاروا فرحاً بهذه المصيبة ، وبدت على وجوههم علامة السرور والفرح ، كأنهم في مأمن من حوادث الدهر ومصائبه .

وكان ينبغي أن يعلموا أن كل إنسان معرض للنوازل والكوارث متى أراد الله له ذلك ، كما كان ينبغي وهم ينتسبون للإسلام أن تظهر قلوبهم من الغل والحقد على المسلمين ، بل ذلك ما يطلبه المؤمن من ربه إذ يقول كما علمه الله تعالى « ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم »

ولكن المسكين يحمله بدينه ، وغفلته عن تصاريف ربه ، يتوقع المصائب بالناس الذين ليس بينه وبينهم صلة من محبة أو مودة أو منفعة ، ولا يدرى أن مصائب الناس موزعة على العباد على وفق مشيئة الله تعالى لا على وفق إرادته هو وأدل على الجهل من هذا أن فريقتاً من الناس يفرحون في موت من بينهم وبينه مقاطعة لسبب من أسباب الدنيا ، كأنما الموت من نصيب عدوهم وهم منه في حزن منيع . ولا عجب في هذا ، فذلك دأب الأعداء يتربصون بخصومهم الدوائر ليشتتوا إذا نزل بهم مكروه ، ولو تدبروا الأمر لعرفوا أن الموت لاشماتة فيه ، وأن كل نفس رهينة بأجلها ، ولن يغتأ أحد من الموت مهما طال أجله . فمن الحق ومن الجنون وعدم الإيمان أن يفرح الإنسان في موت أخيه الإنسان .

أراد منافق أن يتعلق كسرى أنوشروان ملك الفرس . فدخل عليه يوماً وهو فرح باش وقال له : بشراك ياملك الملوك فقد مات عدوك . فتقطب جبين كسرى ونظر إلى مبشره شذراً وقال له : ومن الذي أنبأك بأنني لست أتبعه إلى الرمس ، قبل أن تغيب الشمس !! أعلم أيها الغر الأحمق أنه لاشماتة في الموت

وأنها كارثة لا يسر لها العاقل ، إنما هي آجال بعضها قبل بعض ولكنها آتية .
فبهت الرجل وتاب لساعته .

فالعاقل هو الذي يعلم أنه خاضع لنواميس الأقدار . ومشيدة الواحد القهار
معرض لنكبات الزمان التي لا عاصم منها إلا الله تعالى ، فإذا رأى مصاباً بأحد
توقع له وتألم ، وبادر إلى معونته إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ، حتى ولو كان
عدواً مبيناً ، فإنه إن فعل ذلك بأعدائه انقلبوا أصدقاء ، وعرفوا له سرورته
ودينه ، وكان الله له معيناً ، فالله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

ولا تجدن الشامت إلا جاهلاً منافقاً ضعيف الدين ، ضعيف العقل ، خسيس
النفس ، ولو كان لديه مسكة من الدين أو العقل ما شمت بمخلوق مطلقاً .

ما الذي يعود على الشامتين من شماتهم ! ! إلا أن يفهموا الناس أن الذي
شمتوا به كان خيراً منهم وأعظم شأناً . وكانت حياته وسعادته قذى في عيونهم
وشجى في حلوقهم . وإذن فقد كانوا بالنسبة إليه لا قيمة لهم . فلما نزل به منازل
انطفأت نيران الحقد والحسد من قلوبهم ، وإذن فقد كانوا حساداً حاقدين
مطوية قلوبهم على ظلمات الأحن والبنضاء ، وقلوب ملئت ظلمات من أجل الدنيا
ومنافستها لأهلها هي قلوب ملئت تفاقاً وزيفاً ، ولا صلة بينها وبين الإيمان .

أرأيت كيف أخرجت الشامة صاحبها من حظيرة الدين ، وزجت به في
غمار الجاهلين ؟ ! تتبرأ منه الانسانية كما يتبرأ منه الدين والكرمة والشرف .
وهو بحسب صفة ذميمة قضى عليها الدين الاسلامي ، فالرجوع إليها إحياء لسنة
الجاهلية ، وبعث لصفة خبيثة دنية .

وهل في الوجود من يمتد أن المصائب وقف على غيره وأنه هو بمنجاة
منها إلا أن يكون مخبول العقل خارجاً من دائرة النوع الانساني ! !

فنعن من الله علينا بنعمة الاسلام وجلنا بفضائله وآدابه ، يجب علينا إن نزل بنا حادث من حوادث الدهر أن نصبر ونردد قوله تعالى : (إنا لله وإنا إليه راجعون) لننال رحمته ورضوانه ، فاذا نزل بغيرنا ذلك الحادث تألمنا لألمه . وبذلنا جهد المستطاع في تخفيفه عنه . وذلك هو روح الدين ، وسجية المسلمين .

فاياك أن تشمت بأحد من الناس إذا نزل به مكروه أو أصابه ضرر ، فانه لا يفعل ذلك إلا ساقط المروءة والكرامة . فالدهر يومان . يوم لك ، ويوم عليك وإنك لا تدري ما ادخره لك القدر وما سيفعله بك الزمان ، من الذلة والهوان . نموذ بالله من الأعداء الشامتين . ومن ضرورهم إلى يوم الدين .



(٤٢) طمع التجار الذي دفعهم إلى الاحتكار

الاسلام دين الفطرة يسير المدنية في أسمى مظاهرها ونظمها . ثروة الأرض موزعة في مختلف الاصقاع . البيع والشراء ركنان من أركان الحياة الاجتماعية تحريم الاسلام إلى الاحتكار المؤدى إلى الربح الفاحش ويبان ضرر ذلك . المحتكر يمشى على حساب الناس وينعم بشقاء الناس . اليهود هم الذين وضعوا الحجر الأساسى للاحتكار ومرت عدوهم إلى من سواهم . معظم تبعه الاحتكار تقع على كاهل الحكومات . موازنة بين حال تجار هذا الزمان وتجار السلف الصالح . مثلاً يوضحان هذه الموازنة . الحكومة ومهمتها أزاء المحتكرين .

قال الله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا .

... الاسلام دين الفطرة ، دين يسائر المدنية في أسمى مظاهرها ونظامها .
وقد علم الله تعالى أن النوع الانساني الذي عمر به الأرض سيبلغ من السعة
والكثرة والرقى ما نشاهده الآن . وما سيصل اليه النوع الانساني من كمال .
ومن ضرورات الاجتماع المعاملات وتبادل المصالح . وقد اقتضت حكمته
تعالى أن تكون ثروة الأرض موزعة في مختلف البقاع والاصقاع ، فسيخر البحار
والهواء والبخار للانسان ، وأصبحت البواخر تمخر عباب المحيطات تنقل
محصولات الممالك بعضها إلى بعض بطريق المبادلة أو البيع والشراء ، ليعم الانتفاع
بنعم الله تعالى على وجه لا أثر فيه ولا طاعية .

والبيع والشراء ركنان من أركان النظام الاجتماعى وعليها تدور رضى
تبادل المصالح . وقد جعل الاسلام التجارة من أشرف الأعمال التى يزاورها
الانسان ، وأحاطها بشروط أهمها الاكتفاء بالربح المعقول ، وعدم الاحتكار للمنع
الذى تمس حاجة الناس إليها حتى ولو كانت من الكماليات — أما إذا كانت طعاما
أو كسوة فقد حرم فيها الاحتكار تحريماً قاطعاً .

ذلك لأن التاجر الذى يحتكر الطعام أو الكساء إنما دفع إلى ذلك بدافع
الطمع والجشع الذين لم يقو لإيمانه على تحلله منهما .

فالمحتكر فاسد الايمان ، فاقد المروءة ، يريد أن ينعم بشقاء الناس ، ويثرى
بفقر الناس ، ويعيش عيش الترف والثراء على حساب ضرر الناس . فقد ورد :
« من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برى من الله وبرى الله منه »

والأصل فى الاحتكار أن اليهود منذ آماذ بعيدة يحلمون بأنه سيكون لهم
فى مستقبل الزمان دولة وصوله يعيدون بها مجد سليمان وداود عليها السلام .
ويردون إلى الوجود مملكة « يهوذا » — ورأوا أن ذلك الحلم لا يتحقق لهم

إلا بالمال ، وبالمال الكثير جداً . فشمروا عن ساعد جدهم وتواصوا فيما بينهم أن يشتروا السلع التي يعرفون بتجاريتهم أن سوقها سترتفع . وأن أثمانها ستغلو فيجمعونها ويخزنونها حتى إذا خلا جوف التجارة منها أبرزوها إلى الأسواق متحكمين في أثمانها كما يشاءون . وما زالوا كذلك حتى دانت لسلطتهم المالية أمم الأرض . واشتروا ذمم رجال الحكومات الغربية . وبذلك انتشر هذا الداء في الناس جميعاً :

ويعم ضرر الاحتكار واختزان السلع (ولا سيما الأقوات) في أزمدة الحرب حيث تكون الأيدي المنتجة قليلة ، ومما يضاعف بلاء الاحتكار أن الحكومات تغض النظر عنها فتصطلي الأمة بنار الغلاء الفاحش الذي سببه إحتكار التجار الجشعين . من يهود ومسلمين .

ومن أجل هذا بالغ الاسلام في ذم المحتكر ، وحكم ببعده عن رحمة الله وأخرجه من عداد المؤمنين .

أما البيع في صدر الاسلام وبين طبقة الشرفاء من التجار فهو على غير هذا الوجه . يجلب التاجر سلعته فيبيعهما بسعر يومها الحاضر ولا يدخرها ، منتظراً غلاءها ، لأن هذا الانتظار لإغلاق أبواب رحمة الله على الناس .

وإليك مثلاً يبين لك ما كان عليه تجار المسلمين ، من الشرف والدين ، وبعدهم عن خساسة المحتكرين .

كان « بواسط » تاجر جيز سفينة حنطة إلى البصرة ، وكتب إلى وكيله أن يبع هذا الطعام يوم يفد عليك ولا تؤخره إلى غدك ، فوافق حضور السفينة رخص الأسعار ، فقال له تاجر البصرة ، لو أخرت بيع هذه الحنطة أسبوعاً ربحت فيه أضعاف ما تربح اليوم . فأخره أسبوعاً فربح فيه أمثاله ، وكتب إلى

موكله بذلك . فكتب إليه صاحب التجارة . يا هذا : إنا كنا قانعين بربح يسير مع سلامة ديننا . وإنك قد خالفت ، وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شيء من الدين . فقد جنيت علينا جناية . فاذا أتاك كتابي هذا فتصدق بثمان هذه التجارة على فقراء البصرة . وليتني أنجو من إثم الاحتكار كفافاً لا علي ولا لي .

فانظر إلى نزاهة نفوس السلف الصالحين ، وحرصهم على دينهم ، وتجاويزهم عن إيذاء المسلمين بأغلاء أقواتهم عليهم ؟ ! !
ثم انظر إلى صورة أخرى توضح لك المقت والبلاء الذي ينزل بالمحتكرين ، على لسان سيد المرسلين .

يروى عن فروخ مولى عثمان بن عفان أن طعاماً أُلقي على باب المسجد فخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين يومئذ . فقال : ما هذا الطعام فقالوا : طعام جلب إلينا (أو علينا) فقال : بارك الله فيه وفيمن جلبه إلينا (أو علينا) فقال بعض الذين معه . يا أمير المؤمنين قد احتكر ، قال : من احتكره ؟ قالوا : احتكره فروخ ومولى عمر بن الخطاب ، فأرسل إليهما فأتياه ، فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين . قالوا : يا أمير المؤمنين ، نشترى بأموالنا ونبيع . فقال عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس . فقال فروخ : يا أمير المؤمنين : أعاهد الله وأعاهدك ألا أعود إلى احتكار طعام أبداً »

فهذا هو دستور الاسلام في البيع والشراء ، ونحن مع أننا مسلمون وفي قطر إسلامي قد ذقنا الأمرين وقاسينا الشدائد من جشع التجار واختزانهم لضروريات الحياة من حبوب أو أقشة أو (بترول) أو سكر أو غير ذلك . ولولا أن حكومتنا الرشيدة تداركت أمر البلاد وصددت هؤلاء الوحوش الضارية

وضربت على أيديهم بعض من حديد لكان الخطب أفدح والمصاب جملًا ، وقد صدق الله تعالى حيث يقول : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين »

(٤٣) السباحة في المعاملة

السهولة واليسر أساسان من أسس الإسلام . الإسلام دين اجتماعي مبني على تبادل المحبة والأخاء بين أبنائه . السباحة في البيع ومستلزماتها . السباحة في الشراء ومستلزماتها . كيف تتحقق سباحة الدائن في الاقتضاء . كيف يكون المدين سمحاً في القضاء . سبيل ذلك في الحالتين . تألم لحال المسلمين اليوم . مخالفة المسلمين لتعاليم الدين . لو رجع المسلمون إلى تعاليم دينهم لا صلاح الله أحوالهم .

قال الله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم) . . . السهولة واليسر أساسان من أسس الإسلام الذي رفع الحرج ويسر الأمر حتى كان دين الفطرة حقاً ، دين اجتماعي مبني على تبادل المحبة والأخاء بين أبنائه قال تعالى : (وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبينا إبراهيم) وقال جل من قائل : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فتكاليفه سهلة لا عسر فيها ولا تضيق .

وتظهر أنار سباحة الإسلام في المعاملات ، كالبيع والشراء . في الحديث النبوي الشريف الذي رواه البخاري والترمذي وابن ماجه حيث يقول الرسول الأعظم ﷺ (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى

وإذا قضى (فقد دعا صلى الله عليه وسلم بالرحمة (ودعاؤه مستجاب) للرجل الذي يستشعر
السماحة فيما يبيعه . وذلك بالألإيالى فى الثمن فوق ما تستحقه السلعة ، ولا يستغل
قلة النوع الذى يبيعه فى السوق فيرفع ثمنه إعتدأ على حاجة الناس الملحة إليه .
بل يكتفى بالربح اليسير المعقول . فإنه على قلمته مبارك فيه . إذ أن الذى يشتري
الشيء غالباً فوق ما يستحق يشعر بمضاضة فى النفس و شيء من الحقد على البائع
وهذا ما يريد الاسلام أن تظهر منه القلوب ، ويتباعد عنه البائعون والمستهلكون
من المسلمين .

هذا اذا كان البيع والشراء نقداً . أما إذا كان البيع نسيئة فسماحة البائع
فيه ألا يزيد فى ثمن السلعة عن بيع النقد ، مراعيأ فى هذه الزيادة تأخر الثمن دينأ
على المشتري ، فان ذلك فضلاً على كونه منافعأ للمروءة . شبيهه بالربا الذى يجب أن
يبتعد عنه المسلمون . هذه هى سماحة البائع .

أما المشتري فسماحته ألا يبخس الناس أشياءهم . بل يسومها بالثمن الذى
تستحقه . ولا يمن على البائع بالشراء منه دون غيره . فأن الأرزاق بيد الله :
وألا يفسد على البائع نظام ما يبيعه . بكثرة التقلب فيه . وألا يطالب بزيادة
بعد الميزان أو الكيل . فان هذه عادة ذميمة تدل على صغر النفس وشره المشتري :
كما ينبغى أن يدفع الثمن طيبة بالدفع نفسه . وبخاصة إذا كان البائع فقيراً معدماً
فلا يحسن التدقيق معه حتى ولو كانت السلعة شيئاً هيناً . بل الأفضل أن
يزيده زيادة مستترة فى صورة الشراء . وهى محض إحسان يجازى عليه من الله
بأحسان : وألا يكثر الأخذ والرد مع البائع فيشغله عن بقية المشتريين الآخريين
أو عن مصالحه الأخرى وربما كان ذلك سببأ فى تضییع شىء من حقوقه أو
من ثمن سلعته .

وإذا حل ميعاد الوفاء بالدين فسماحة صاحب الدين في الاقتضاء أن يطلب حقه أو دينه في هوادة بلا عنف ، وفي لين بلا شدة ، وألا يرهق المدين . بل إن كان معسراً أنظره عملاً بقوله تعالى : (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة . وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) وألا يطالب المدين على مشهد من الناس ومسمع خصوصاً إذا كانوا يجهلون الدين أو يتأذى المدين بالجهر . وألا يلحف في الطلب . وألا يطالب في أوقات راحته وهناءة فينغمص عليه صفو راحته وهو من أحرص الناس على قضاء الحقوق . وألا يرفع أمره إلى القضاء إلا إذا اضطر إلى ذلك اضطراراً بأن أنكر المدين أو خيف ضياع الدين بموتة أو سفره أو مضي المدة القانونية على وثيقة الدين .

أما إذا كان مستعداً للدفع في وقت قريب فلا يقاضيه فيغرمه الرسوم القضائية وأتعاب المحاماة . ويشغل باله ويعطله عن أعماله بدون جدوى تعود عليه إلا الأضرار بأخيه . كل ذلك من حسن الاقتضاء .

أما السماحة في القضاء . فهي شعبة من حسن الأخلاق ، ذلك أن المدين يجب عليه من وقت الاستدانة أن يفكر في طرق الوفاء حتى إذا حل موعد الوفاء كان الدين حاضراً فيدفعه إلى صاحبه كاملاً غير منقوص مقروناً بعبارات الشكر فأن ذلك يشرح صدر الدائن ويشجعه على تفريج كرب المعسر . ولا بأس أن يتبع ذلك بهدية تكون كثناء معروف الدائن . فقد ورد : من أسدى إليكم معروفا فكافئوه . فأن لم تكافئوه فادعوا له بخير حتى تعلموا أنكم كافأتموه .

ومن سوء أدب المدين أن يكلف دائئه عناء المطالبة والالحاف فيها والتردد عليه وقتاً بعد آخر . أو يضطره لرفع الأمر إلى القضاء . فان ذلك فوق ما فيه من نكران الجميل يحمل صاحب الدين على عدم إسعاف مكروب ، وفي ذلك ضرر

عظيم ، وسدّ الأبواب الرحمة على آخرين . وقد ورد عن النبي ﷺ « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله »
فانظر رعاك الله إلى أريحية الدين الاسلامي وسماحته كيف جعل المسلمين أسرة واحدة وبني أمرهم في المعاملات على السهولة والرفق ، حتى جعل نعم الله متبادلة بينهم بدون تضيق ولا تشديد ؟

فلو أننا سرنا على المنهج القويم ماشكنا مسلم عسرا ، ولبدل الله عسرنا يسرا ولكننا آثرنا العاجلة على الآجلة ، فرمينا بالشيخ القاتل والحرص المهلك ، فأظلمت القلوب ، وساءت الحال ، وضاعت الثقة ، وفقدت الأمانة ، وانتشرت الخيانة ...
وما كان الله ليظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون .
جل الله نفوسنا بالسماحة ، وباعد بيننا وبين الشيخ والمشاحنة ، إنه هو الهادي إلى الصراط المستقيم .

﴿ شوق النفوس البشرية ، إلى معرفة الأمور الغيبية ﴾

القول الفصل في إدراك الغيب على لسان القرآن . شغف النفوس البشرية من أزمنة سحيقة لأدراك الغيب . السكهان والكاهنات وخطافات الجن وإلقاؤها إليهم أطمع الناس في درك الأمور الغيبية قبل مبعث الرسول . شق أنمار وسطيح وعراف الهمامة وغيرهم كانوا من مظاهر الاخبار بالغيب بما تلقفته الجن من السماء ما بين صدق مما سمعوا . وكذب مما اختلقوا . ضرب الرمل وقراءة الكف لا تختلف عن إخبار السكهان والعرافين . قراءة الفنجان وورق اللعب وطرق الحصى والسماع إلى كلام المعتوهين والمعتوهات . كل أولئك سخائف ومفتريات استفحال أمر تصديق الخرافات والشعوذة في الشعوب الشرقية حتى كاد هذا

أن يفسد عقائدهم ويحولهم مشركين من غير أن يشعروا . كان ينبغي أن يكون المسلمون وحكم دينهم قاطع في فساد ذلك . أن يكونوا أبعد الأمم عن تصديق هذه الوسائل كلها . من أساليب الاحتيال لسلب مال الجهلاء تنوعت التماس تبعاً لأغراضها ومقاصدها . الزار وفساد معتقد المصدقين بحقيقة أمره التي يفهمونها للدهماء . من الأدلة على أن جميع ما تقدم مفتریات وسخائف وفتن شيطانية أنك لا تراه في الأمم الغربية التي استنارت بنور العلم والعرفان ، واجب علماء الدين إزاء هذه المفاصد العقلية والدينية

قال الله تعالى : وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

... بهذه الآية الكريمة عرف الناس العقلاء المتدينون مسألة الغيب . وأنها سدت على الناس واستأثر بها الله سبحانه وتعالى : إلا ما يعلمه هو لأصفياءه وأنبياؤه فيما تدعو إليه حال رسالتهم . قال تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول)

ومع أن الأمر كذلك فقد تطلعت النفوس الأنسانية إلى معرفة ما تطويه حجب الغيب عنها . ولم تقف عند ما رسمه الله لهذه المسألة . بل أخذت من عهود بعيدة تلتبس الوصول إلى معرفة المستقبل ، وتعلقت بالكهان والمشعوذين إذ كانوا يلقون إلى الناس ما تقذفه إليهم الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع قبل مبعث الرسول الكريم ﷺ .

واشتهر من هؤلاء أمثال شق أنمار ، وسطيح ، وعراف اليمامة ، ومن إليهم من الكهان والكاهنات .

وكان طرق الحصى وزجر الطير من وسائل عرفان الغيب حين ذاك وتوسع الناس على مر الدهور في هذا الباب فتعلقوا بضرب الرمل ، وقراءة الكف . ومع أن هذين عالمان يزعم بعضهم أن الأول كان لادريس عليه السلام ، والثاني يقال إنه من وضع كهنة الفراعنة ، ووضعت فيه مؤلفات في عصرنا الحاضر ما بين عربية وغير عربية ، وألف فيه بعض فلاسفة الغرب واعتقدوه ، مع أن هذين العاملين كذلك فانها لا يهديان الناس إلى معرفة ما طواه الغيب ، أضف إلى هذا ما انتشر بين ظهرائي الناس في هذا الزمان من وسائل معرفة الغيب من قراءة الفنجان ، وأوراق اللعب ، وقياس الأثر والتوجه إلى بعض المعتوهين والمعتوهات تذهب إليهم الناس زاعمين أن هؤلاء البلهة يسمعونهم أجوبة عن نواياهم وما تكنه صدورهم من الغايات والمقاصد ، وقد نجم كثير من هؤلاء في مختلف القرى والمدن يعيشون على حساب إطلاع الناس على الغيب ، وبلغ من جرأتهم وعلمهم بغباوة أكثر الناس أن أصبحوا يعلنون عن أنفسهم في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية . فهذا عالم روحاني يستحضر الجن ويصدر إليهم أوامره في مختلف الشؤون ليرشدوه إلى ما طواه الغيب ، وهذا يردّ الضائع ويعرف السارقين ، وذلك منوّم يرسل الأرواح إلى حيث يشاء فتأتيه بالأسرار الخفية ، والمعلومات الغيبية ، وهذا . . . وهذا . . . مما يطول شرحه وعدّه .

ونحن بوصفنا مؤمنين مصدقين بما جاء به القرآن الكريم لا نكثر لهذا كله مكتفين بهذا الدستور الإلهي حجب المخلوقات كلها عن الكشف عن الغيب . وإن إنتشار هذه الأضاليل في شعب ما ورواج القائلين بها لدليل على ضعف عقلية ذلك الشعب وبعده عن معرفة دينه ، وإلا فبعد أن يقول الله تعالى : قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ، وبعد أن يقول الرسول الأعظم :

(من أتى عرفاً أو ساحراً أو كاهناً يؤمن بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) بعد هذا كله لا يصح في بديهة العقل أن يؤمن مؤمن بتلك الترهات !.. وقد جرّ هذا إلى الأيمان بما ينافي الأيمان بالله ورسوله : وذلك كالتوجه إلى قبور الأولياء والمنسج بأعتابهم - والطواف حولهم - واعتقاد هؤلاء العامة الجاهلين بدينهم أن أصحاب هذه القبور يملكون نفعهم وضرهم - وربحهم وخسارتهم - كما يحفظون لهم أولادهم ومواسيهم من الموت والحسد . بل ويشاركونهم في الزراعة والماشية ويحاسبون أنفسهم ويأتون بنصيب أصحاب القبور مالا يضعونه في صناديق نذورهم : وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك في قوله جل شأنه : (ويجعلون لما لا يعمون نصيباً مما رزقناهم . نالهم لدسّان عما كنتم تفترون)

وهذه حال لا نقول إنها كحال الجاهلية الذين اتخذوا الأصنام شركاء لله يقدمون لهم القرابين ويتوجهون إليهم بالعبادة - لا نقول هذا لأن حال الجاهلية كان أخف من حال المسلمين اليوم : فالمسلمون لهم تحت كل قبة من القباب صنم . وما أكثر هذه القباب ! !

وناهيك بخرافات التأمم ، فهذه تميمية للنظرة . وأخرى للحفظ من الجن . وثالثة لأم الصبيان . ورابعة وخامسة للقبول والمحبة والدخول على الحكام . وسادسة لتوسيع الأرزاق . وسابعة للنصر على الأعداء . وهذه أمور على سخفها وبعدها عن العقل والدين يصدقها كثير من الرجال المثقفين وغير المثقفين . أما النساء فلا يخامرهن أقل شك في صدق هذه الخرافات :

وهناك ثلاثة الأثافي وهي الزار . ويقولون عنه انه حفلات تقام للأسياد ويعنون بهؤلاء الأسياد الجن الذين لبسوا أجسام المصابيات والمصابين . وينفق

في هذه الحفلات من المال مالا يصدقه العقل :
وهذا وإن فسره الأطباء بأنه نوع من اضطراب الأعصاب إلا أنه جاوز
في أمتنا المصرية حد المعقول . وأصبح سبباً في تقويض دعائم الأسر الهادئة :
وتخريب البيوت العاصرة .
أما الكدى : وهن اللواتى يدرن حركة هذا الداء الويل فهن اليوم
من المثرىات يدخلن قصور العظماء كما يدخلن أكواخ الفقراء ويأخذن مال هؤلاء
وهؤلاء بدعوى مصالحة العفارىت على من لبسوها :
أمور تضحك السفهاء منها . . . ويبكى من عواقبها اللبيب
إننا لا نرى في الأمم الغربية أمثال ما نراه في أمم الشرق . مع أن ديننا
الحنيف صريح قاطع في فساد كل هذه المزاعم والأباطيل ! !
فواجب على علماء الأمة وحكامها وعقلائها أن يقوموا بالقضاء على هذه
المفتريات حتى تطهر العقول من هذه الأرجاس . وتتطهر البلاد من تلك الأنجاس .
ويتمسك الكل بشريعتهم الوضاعة الواضحة حتى يقال : جاء الحق وزهق الباطل
إن الباطل كان زهوقاً .
كشف الله عنا غمة الجهل وبصرنا بنور الدين . وهدانا إلى الطريق المستبين
إنه ولى المتقين .

(٤٥) أين نجد الراحة

بيان أن الحياة مملوءة بالهموم والأحزان . اختلاف أنواع هموم الناس
في الدنيا وبيان أسبابها . بيان أن عظماء الرجال أكثر الناس هموماً . الحكمة
الألهية في هذا النظام الغريب . ليس في الدنيا شيء يحمد إلا التزود للآخرة .

الطريق المعبد لا اكتساب الراحة النسبية في الدنيا . مما يهون على المرء مخاطر الحياة تذكر من مات من الآباء والأجداد . أثر العقيدة الصحيحة في نفس صاحبها وما يتبعها من الراحة :

قال الله تعالى : (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب . وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)
... لا راحة في الدنيا . لأنها ليست دار راحة ولا دار إقامة حتى يطمئن إليها الإنسان .

وكيف يرى الراحة أحد وهو في كل يوم من أيام حياته يتقلب بين الهموم والأحزان . وتتوالى عليه كوارث الحداث : ! ! فمن مشغول بطلب العيش يعاني في الحصول عليه الأمرين . ومن مشغول بجمع المال يرى فيه السعادتين ومن منغص في دنياه . لأنه لم يرزق من الأولاد ما تقر به عيناه . ومن مهوم بكيد الأعداء يرى في الانتقام لذته وشفاه .

وهكذا لا ترى ألساناً استكملت له الراحة واطمأن في الدنيا قلبه . بل أودع الله في قلب كل إنسان من هموم الحياة ما شغله : حتى الملوك الذين يظن المرء أنهم قد توفرت لهم أسباب السعادة ووسائل الراحة . لهم هموم ومشاكل بقدر ما أعطوا من حظ هذه العاجلة : وهذه حكمة إلهية عالية يعتبر بها العاقلون . ويستترشد بها المفكرون . ليعلموا أن الحياة الدنيا فانية . وأنها دار أكدار وأحزان :

وخير ما فيها أنها ظرف لتحصيل الحسنات . ودار للتزود إلى ما بعد الممات ولولا ذلك لكانت شرّاً مستطيراً . وبلاء كبيراً .

ولو أنك تصفحت قلوب الخلائق فردا فردا . وفقت في الصدور
صدرا صدرا . ما وجدت أحدا منها في راحة بال . وصلاح حال .
والطريقة المثلى لمن ينشد الراحة فيها ويبحث عن اطمئنان الضمير في فترة
حياته القصيرة . أن يكون قوي الإيمان بالله تعالى . قابضاً بكلتا يديه على دينه
مسامحاً له تعالى أمره . تسليم الموقنين . راضياً بقضاء الله وقدره فيما ينوبه .
وأن يبذل نفسه وماله . فيما يرضى ربه . وأن يكون عفيفاً قانعاً مقبياً لحدود الله
عاملاً بأوامره . مجتنباً لنواهيه : فاذا سلك هذه السبيل . وهي سبيل النجاة
الحقيقية فقد اطمأن قلبه . واستشعر ببرد الراحة في صدره . (ألا بذكر الله
تطمئن القلوب)

إذا تذكر الأنسان مصير الآباء والأجداد . وعرف أنهم قد ارتحلوا
عن الدنيا بعد أن عمروا فيها طويلاً . وانه لا محالة لاحق بهم . وسالك سبيلهم
إذا تذكر ذلك هانت عليه صعاب الأمور . وزهدت نفسه في الدنيا . وبذل
وسعه في العمل الذي ينجيه من الهول العظيم . وفي ذلك تمام الراحة وكمال النعم
العقيدة الصحيحة نزيح صاحبها من هواجس الضلال . والشرع الأسلامي
كلاء كمال في كمال . فمن طرح الخرافات جانباً وملاً قلبه بنور الإيمان الصحيح
وذلك بأن يمتقد أن الأمر كله من الله . وإلى الله . ولا حفظ من المعصية
إلا بالله . ولا قوة على الطاعة إلا بالله . ونصر ربه باتباع شريعته . إذا اعتقد
ذلك كله عاش آمناً مطمئناً . ولقى ربه وهو على هدى منه وصراط مستقيم .
نسأل الله تعالى ألا يجعل هذه الدنيا أكبر همنا حتى نخرج منها طاهرين
ومن شرورها آمنين .

(٤٦) كل حي مصيره للزوال

الموت حقيقة لا يرتاب فيها مرتاب . خروج الانسان خلوا من الدنيا ليس معه غير العمل والايمان . عظة الحى بأسلافه والموتى من بنى زمانه . أهوال الموت وكرهه . الأخطار المجهولة بعد الموت . خطأ الانسان في فهم الحياة واشتغاله برزقه المضمون وغفلته عن المستقبل غير المضمون . تقريع وتأنيب واستبطاء . الحث على التوبة واستئناف العمل الآخرة .

قال الله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاب مؤجلا » وقال جل شأنه : (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ، ولا تظلمون فتيلا) . . . في هاتين الآيتين الكريمتين دلالة صريحة تؤيدها المشاهدات وهي الحقيقة التى لا يرتاب فيها مرتاب . ذلك أن كل نفس مصيرها للنعاء ، وأن متاع الدنيا متاع قليل مهما عمر الانسان ومهما جمع من الدنيا ، فلا بد له من يوم محدود ، وساعة معينة ، يفارق فيها دنياه ، ويخرج خالياً مما جمعت يده .

نعم يعود الانسان إلى التراب ، وليس معه إلا ما عساه أن يكون قد ادخره للآخرة من عمل صالح بعد إيمان ثابت .

ومن رحمة الله تعالى أنه لم يترك لنا عذرا في بيان حقيقة الموت وعاقبة الانسان ، ولكن ابن آدم مخدوع مغرور ، لا يدري أن الدنيا نفسها قد وعظته بمعارع آبائه وأجداده وقد سبقوه إلى الموت والنعاء .

فيأبها المغرور ، أنظر وراءك فهل رأيت من أسلافك من أخطأته المنية ونسيه الموت حتى تعلق بأذيال البقاء في الدنيا ؟ ! ثم انظر إلى ما بين يديك ، وفي كل يوم تشاهد الموت وهو يعد يده فيختطف من الحياة من كان أصبح منك

جسماً ، وأصغر منك همراً ، وأوسع منك أملاً ، فإن لم تجد ذلك كان لك العذر في طول الأمل والاطمئنان إلى الحياة .

أنت راحل عن الدنيا إن لم يكن اليوم فغداً أو بعد غد ، فما عذرُك في تناسي الموت وأهواله وكربه ، وما الذي أعدته للنجاة من هول الموت وما بعده ! ألا إن الموت هو أول مرحلة من مراحل الآخرة ، فمن مات فقد قامت قيامته ، وأما ما بعده فأهوال وخطوب — لا يعلم مداها إلا علام الغيوب ، ولا يأمن شرها إلا عبد فكير واستبصر . وفي عواقب أموره تدبر ، وصحاح من غفلته ، وانتبه من رقدته ، واعتصم بحبل الله فنجا .

والويل كل الويل لمن يفاجئه الموت وهو غافل عنه مشغول بحطام الدنيا . حاسب نفسك أيها العاقل قبل أن تحاسب ، وكن على يقين من أن أبناءك وأهلك ومالك وأصدقائك وكل ما تفتقر به من الدنيا لا يغني عنك فتية عند الله ولن ينفعك إلا إيمانك وعملك ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله . فما أنت ترى أخاك الإنسان يخرج من الدنيا خالياً فارغ اليد ، كما دخلها خالياً فارغ اليد ، وفي لحظة عين ينتقل من حياة إلى موت . فيصبح جسداً هامداً ثم يوارى في قبره — ويتخلى عنه أقرب الناس إليه — دفيناً وحيداً فريداً لا أنيس ولا رفيق ، ولا صاحب ولا صديق . وعندئذ لا ينفعه إلا صديقه المخلص . وهو إيمانه وعمله .

أما أهله وولده فتشغلهم تركته أو دنياهم ، وبعد قليل يصبح من الأحياء نسياً منسياً .

مسكين ابن آدم شغل نفسه وصرف حياته فيما ضمنه الله له وهو رزقه . والله تعالى يقول : وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها

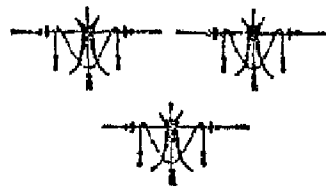
ومستودعها . كل في كتاب مبین)

حقاً ضمن الله لكل شيء رزقه ، ولم يكلف ابن آدم إلا قليل السعى .
جعل سبباً لنيل ما قسمه له .

ولكن ابن آدم من حرصه وطمعه وقصر نظره ظن أنه إذا تكالب على
الدنيا نال أكثر مما قسم له ، وهو في ذلك من الخاطئين .

مسكين ابن آدم غفل عن سبب نجاته من هول الآخرة ، وغفل عن عمل
يقربه إلى ربه ، وانخدع بدنيا فانية لو أنها كآها له ما نفعته في أخراه شيئاً . ولو
بقيت له ما بقي هولها . فهو دائب العمل لما يفنى ، غافل كل الغفلة عما يبقى .
أليس هذا هو الضلال المبين ؟

فمتى أيها الانسان تبصر النور فتمشي إلى الهداية ؟ وهل نور أشد ضياء
من نور الاسلام ؟ ! ! وهل هناك واعظ أشد من الموت ؟ ! ! وهل هناك عبرة
أقوى مما تراد العيون ؟ ! ! ولكن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .
سارعوا أيها المسلمون إلى الندم والتوبة ، وخذوا من دنياكم ما ينفعكم في
أخراكم ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، وفروا إلى الله تأمنوا ، إن في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون



(٤٧) المواساة وأثرها في المجتمع الانساني

تعريف المواساة . المواساة مبعثها الرحمة والشفقة من المواسى لمن يواسيه .
حظر المواساة في الدين وجوازها . أمثلة في هذا المعنى . ماتتناوله المواساة من
الأفراد والجماعات . تمثيل للمحظور من المواساة . لا بد في المواساة الحقيقية
من الممونة للمادية . أنارة من أعمال السلف الصالح في هذا الباب . استعئناس في
الموضوع بدعاء الملائكة للمؤمنين ودليل ذلك من الكتاب . المواساة للمحزون باسم
ومرهم لجراح قلبه . المواساة في الماتم يجب أن تكون موافقة لآداب الياقة .

قال الله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
... المواساة تخفيف الألم عن المصاب ومعاونته بما يخفف عنه ما يشعر به من
حزن أو ضيق أو غير ذلك .

ومبعثها الرحمة والشفقة من المواسى لمن يواسيه .

والمواساة من الأعمال التي حث عليها الاسلام ودعا إليها فيما لا يحظره
الشرع ، فمن تقدم إلى تاجر خسر في تجارته حتى شارب الافلاس بمال يعوض
عليه بعض الخسارة فقد واساه ، ومن ساهم في بناء مستشفى أو مصنع أو مدرسة
لتعليم اليتامى أو المتشردين أو العاطلين من أبناء الأمة فقد واساه ، ومن دفع
عن غريم بعض ما يطلب منه فقد واساه — وعلى هذا فالمواساة تجري مجرى
المروءة وعمل البر فيمن تأخذنا عليهم الشفقة أفراداً أو هيئات .

أما المواساة فيما خطره الشرع أو العقل وأبته المروءة فهي عمل باطل .
فمن تقدم لمرتكب أى جريمة من الجرائم وعاونه على إتمامها والمساعدة فيها ، فلا
شك مواسياً ، بل يعدّ شريكاً في الجرم . ومن تقدمت من النساء في جنازة

فلطمت وجهها، وولولت بعويلها مواسية بذلك بعض صواحبها فلا تعد مواسية بل تعد معينة على الأثم والعصيان . كذلك من مد يد المعونة لمقامر خسر ماله في القمار . أو أعان متسولاً قادراً على العمل فلا يعد عمله مواساة ، بل هو إعانة على كثرة المتعطلين من أبناء الأمة وتقوية لهم على الكسل وخسة النفس وفقدان المروءة .

فأنت ترى من هذا أن المواساة لا بد فيها من المعونة بشيء مادي غالباً . وقد تحصل المواساة عند عدم الاستطاعة بالتسليية وتخفيف الأحزان بالحكم الماثورة ، فإن لم يكن فبالترجيع للمصائب والتأثر لوقعه ، حتى يشعر المواسي بأن هناك نفساً تشاطره ما يعاينه من مريض أو حزن .

سجل التاريخ أن جماعة دخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد فوجدوه قد تجرد عن ثيابه وهو ينتفض ، فقالوا له : ماذا يا أبا نصر . فقال لهم : تذكرت الفقراء وما هم عليه من الحال وليس لي ما أواسيهم به فأحببت أن أواسيهم بما أقدر عليه .

وكان في السلف الصالح من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته ، يقوم بحاجتهم ، ويتردد كل يوم إليهم ، ويمونهم من ماله . فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا شخصه ، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته . وكان أحدهم يتردد إلى باب دار أخيه يقوم بحاجته من حيث لا يعرفه أخوه قال عطاء : تفقدوا إخوانكم إن غابوا عنكم فإن كانوا مرضى فعودوهم ، أو كانوا نسوا فذكروهم ، أو كانوا مشاغبل فأعينوهم .

وقال رسول الله ﷺ في اليوم الذي استشهد فيه جعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم . (اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم)

وعلى كل فالمواساة تكون بكل ما فيه خير للناس ، فتكون بالمال ، وتكون بالجاه ، وتكون بالنصيحة والارشاد ، وتكون بالدعاء والاستغفار . ولعل ما تنفعه الملائكة وقد أخبر به القرآن الكريم هو مواساة للمؤمنين .

قال الله تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن اتق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم »

فكن مواسياً للناس رحباً بهم ، عالماً بأن مواساتك للمحزون بلسم ومرهم لجراح قلبه ، وكاوم نفسه ، فكم من محزون فرّج همه كلام أخ يحزن لحزنه . ويفرح لفرحه .

واعلم أن الذي يحضر مأتماً ويظهر بين الناس بمظهر المحزون المتألم يعد مواسياً لأسرة الفقيد وإن لم يكن في الحقيقة محزوناً . ومن ضحك وظهرت عليه علامة السرور في هذا الموقف عدّ شامتا ، أو على الأقل سيء الأدب ، فاقد المروءة . جاعلاً بأداب اللياقة ، بعيداً عن أدنى درجات الذوق السليم .

جعلنا الله ممن يتعرفون الحسنة ، ويعملون بها ، ويتباعدون عما ينافي الدين والمروءة ، إنه هو الهادي إلى سواء السبيل .



٤٨ جهالة الناس في طلب الرزق وحرصهم على الدنيا

الرزق مضمون مقسوم منذ الأزل — التكالب على الدنيا لا يزيد في الرزق شيئاً — رُبَّ جاهل غنى — ورُبَّ زكي شقى — انهبك الانسان في طلب المضمون (الرزق) وغفلته عما ليس مضمون (أمر الآخرة) — الحرص لا يزيد صاحبه إلا تعباً — كيف يطلب المؤمن الدنيا والآخرة — الفرح الحقيقي هو عمل ما ينال به فضل الله ورحمته ودليل ذلك — آثار عقيدة الأرزاق في نفوس الناس — مصدر هذه الفتنه هو غواية الشيطان — تصديق الناس لوعد الشيطان — وتكذيبهم وعد الرحمن .

قال الله تعالى : (أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَكَنًا ، وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ »

... هذا كلام الله الكريم يعرفنا معشر بني آدم أن الله تبارك وتعالى قد ضمن لنا الأرزاق وقسمها بيننا تقسيماً عادلاً على وفق علمه ومشيئته ، ونحن عن هذا غافلون .

نتفاننا في طلب الدنيا ، وفي العمل ليلاً ونهاراً لكسب الغنى والثروة ، ظانين أن الغنى موقوف على كثرة العمل ، مع أن الحقيقة ما نطق به القرآن ، وهو أن لكل إنسان رزقاً مقسوماً لا يحتاج في الحصول عليه إلا إلى مجرد التماس السبب أما التكالب على الدنيا ، وأما النصب والغفلة عن حقوق الله ، وأما وأما ... كل أولئك لا يزيد في الرزق شيئاً .

فكم رأينا ضعفاء جهلاء لا يعرفون في تصريف أمور الحياة شيئاً وهم مع

هذا موفورة أرزاقهم ، مقبلة عليهم دنياهم من غير حول ولا قوة .
وكم رأينا من عقلاء أذكاء عارفين تصاريف الأمور ولكنهم على زكائهم
وعلمهم ضيقة أرزاقهم منهوسة طوالعهم ، لا ينالون إلا ما كتب لهم في لوح
المقدور .

وإذا كان ذلك كذلك فالأولى بالعاقل « وقد عرف حقيقة الأمر مما أوحى
به الله إلى أنبيائه » الأولى به أن يطلب رزقه في إجمال واطمئنان ، علماً أنه لن
ينال إلا ما قسم له . ثم يعلم أن هذا الذي ناله من الرزق لم يكن لئفلت من يده
وأنه مضمون ضماناً موثقاً به من الله تعالى ، ثم يفرغ جهده فيما ليس بمضمون
« وهو النجاة من هول الآخرة » حتى يطمئن قلبه من ناحية أخراه - كما اطمأن
لضمان الله من ناحية دنياه .

ولكننا مع الأسف الشديد نشاهد عكس هذه القضية ، فنرى الناس
يتكالبون على طاب المعيشة تكالباً ينسيهم أمر آخرتهم ، بل إنك إذا شاهدت
صراهم وتناحرهم في طلب الدنيا اعتقدت أنهم اعتبروها آخرة لهم ودنيا في
وقت واحد .

والطريقة المثلى التي يجب أن يكون عليها المؤمن حقاً هي أن يعمل لدنيا
وهو على يقين من أنه مهما بذل من الجهد فلن ينال إلا حظه المقسوم له من قبل
أن يخلق ، وإن يزيده الحرص إلا تعباً ونصباً .

وأن يعمل للآخرة وهو خائف من التقصير باذلاً جهده في تحصيل الأجر
متوخياً السير على الطريق القويم ، والصراط المستقيم .

وهو في كلتا الحالتين معتمد على حول الله وقوته ، مستعيناً به ، عارفاً أن
خير الدنيا والآخرة ومفاتيح السعادة في يد الله تعالى ، فبهذا يطمئن قلبه على

أرزاقه في الدنيا . ويطمئن قلبه لمعونة الله في طلب الآخرة . ألا يذكر الله تلمنن القلوب
فاذا وطن نفسه على ذلك وحلت هذه العقيدة محل الإيمان من قلبه ، فانه
لا يحزن على فائت من الدنيا ، ولا يفرح لغاية ينالها منها ، بل يكون فرحه دائماً
بما قدم من عمل صالح ينال به ما عند الله من فضل ورحمة ، فالله تعالى يقول :
« قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون »

لو أن المسامحين علموا هذا واعتقدوه يقيناً ما رأيت مسامحاً يعادى أخاه
ولا ينافسه ويزاحمه مستعلماً عليه يريد الانفراد بالخير دونه ، وكيف يصنع ذلك
بعد أن علم أن ما قدر له من رزق سيناله ؟!! وأن ما ليس مقدوراً له فلا سبيل
اليه ، وأن الدين ينادى بأن الأرزاق مضمونة مقسومة من الأزل فلا معنى
للمحاربة عليها ؟!!

فأفريقوا أيها المسامحون ولتطمئن قلوبكم ، فالشيطان هو الذي يخوفكم من
الفقر ويحكمكم على الحرص ومعاداة بعضكم بعضاً ، واسمعوا قول الله تعالى وهو
يكشف لكم عن هذه الحقيقة بقوله عز وجل : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم
بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ، والله واسع عليم »

فانظروا كيف ضدّتم الشيطان وآمنتم بما يخوفكم منه فقبضتم أيديكم عن
عمل البر والاحسان وتكالبتم على الدنيا وخالفتم وعد الله بالسعة والرحمة !
فكانت النتيجة أنكم لم تنالوا من الدنيا « مع التفريط في الأثم والعدوان »
إلا ما كان لكم . وأصبحتم في حرب مع أنفسكم ، فلا راحة نلتهم في الدنيا
ولا للآخرة ادخرتم !! ومن خسر الدنيا والآخرة فقد حاق به الخسران المبين .
نسأل الله تعالى أن يجعلنا من القانعين بما قسم وأن يقينا شر الدنيا وهمومها ،
وأن يوفقنا إلى طاعته ويبعد عنا نزغات الشيطان إنه على كل شيء قدير .

(٤٩) الأعياد في الاسلام وحكمتها الدينية والاجتماعية

احتفال جميع الأمم الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها بعيد الفطر وعيد الأضحي — مظاهر العيدين تؤيد الرابطة الروحية بين جميع المسلمين — الحكمة الدينية في العيدين — الحكمة الاجتماعية في العيدين — أمراض الأمم الاسلامية هي أمراض الأفراد — التحاب أساس الدين ودعامة الايمان — الوحدة العربية بشائر الفلاح والنجاح للمسلمين .

... تحتفل الممالك الاسلامية في مشارق ومغاربها وتبتهج باستقبال عيد الفطر وعيد الأضحي المباركين — وهذه المظاهر الابتهاجية في ممالك الاسلام في آن واحد دليل على الرابطة الروحية ، رابطة العقيدة والدين ، وهي أهم رابطة في الوجود ويذكرنا هذان العيدان بما كان لهما من العظمة والجلال في صدر الاسلام حين كانت قلوب المسلمين متحدة ومجدهم شامخاً وعزهم غالباً .

ألا فليعلم المسلمون أن الله تعالى جعل للأعياد الدينية حكماً وأسراراً . منها ما هو ديني ، واجتماعي ، ومنها ما هو اجتماعي خالص .

فأما الحكمة الدينية في كل من عيد الفطر وعيد الأضحي فهي الراحة والتمتع بالطيبات من الرزق عقب ما نال المسلم من المجهود في الصوم وفي أعمال الحج ومشاقه ، فيغتبط المسلم ويمتلأ فرحاً لأن الله أقدره على القيام بتلك العبادات على أكمل وجوها .

وأما الحكمة الاجتماعية في كلا العيدين ، فهي التوسعة على الفقراء وذوي الأرحام وإشعارهم بأن لهم نصيباً في مال الأغنياء والموسرين ، وبذلك يزول شبح الجوع والبؤس من البلاد الاسلامية بفضل تعاليم دينهم القويم .

وعيدُ الأضحى المبارك بصفة خاصة ينطوى على حكمة اجتماعية كبرى يتوقف عليها سيادة المسلمين وسعادتهم وعزهم وحريتهم ، ذلك أن بيت الله الحرام يقدّم إليه كل عام مئات الألوف من الشعوب الإسلامية على اختلاف مواطنها وتباعد ديارها . يجتمعون في زمان معين ليكون هذا الاجتماع مبيناً للتعارف بين المسلمين وتقوية الروابط بين ملوك الاسلام وأولى الراى منهم . وفي هذا المكان المقدس يتبادلون الآراء الصحيحة في تقوية جانيهم واتحاد كلمتهم ، ليكونوا جميعاً جهة واحدة في وجه من تحدّثه نفسه باغتصاب ملكهم أو التحدى على حريتهم هذه هي الفكرة الاجتماعية للعج ، فهل قام ملوك الاسلام بتنفيذ ما أرشد إليه دينهم ؟ أم تقاطعوا وتدابروا وتفرقت كلمتهم حتى طمع فيهم الأجنبي ؟ وأصبحوا وكل دولة اسلامية ويا للأسف تخضع لدولة أجنبية تصدر عن رأيها ؟ وهذا التفرق والتنابد الذي منى به ملوك الاسلام فأضعفهم وأذلهم هو بعينه الداء الذي أصاب أفراد المسلمين فأظلمت به قلوبهم وأصبحوا متدابرين تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى .

وكان يقتضيهم الدين أن يكونوا جسماً واحداً متحابين لا لأن الحب بين الناس يجعل الحياة طيبة . بل لأن الحب يتوقف عليه الأيمان الصحيح ، فإذا زال الحب من نفوس المسلمين بعضهم لبعض فقد فقدوا الأيمان وحرمت عليهم الجنة . يقول الرسول الكريم ﷺ في تقرير هذا الحكم « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا »

وليس الحب هذا هو العطف القلبي بل هو أن تريد لغيرك ما تريد لنفسك وأن تجعل نفسك ميزاناً بينك وبين الناس .

فلو أن المسلمين ملوكاً وأفراداً مشوا على منهج الدين لكانوا أعز خلق الله

جانبا وأطيبهم عيشاً وأهداهم بالا . ولسكانوا أبعد الناس عن الرزايا والمصائب التي تفتابهم اليوم بلا رحمة ولا شفقة ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . هلموا أيها المسامون وأقبلوا على قلوبكم فطهروها من الأحقاد والسخائم ، وأحلوا مكان ذلك حباً ورحمة وصفاء يتجلى الله عليكم برضوانه ، ويغدق عليكم نعمه ظاهرة وباطنة .

أيد الله المسلمين . وجمع كلمتهم ، ووحد غايتهم حتى يعمود للإسلام مجده القديم ، ونفاره العظيم . فيها هي بشار الفلاح قد بدت بتأليف (الوحدة العربية) التي جمعت بين ممالك الشرق .

جعلها الله فاتحة نصر جديد ، وعز مديد ، للإسلام والمسلمين .

(٥٠) التذكير بالله واليوم الآخر

وظائف الرسل — الصالحون والعصاة — وما أعد لكل — صفة أهل الجنة وصفة أهل النار — ترغيب وترهيب — آيات قرآنية .

قال الله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

... إعلموا أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس عبثاً ، ولم يتركهم هملاً ، بل فطرهم وأسكنهم الأرض لحكمة عالية ، وغاية سامية ، وأرسل رسوله مبشرين ومنذرين ، يعرفونهم ما لهم وما عليهم ، ويفهمونهم عظمة الله ووحدايته ، ويذكرونهم بالرجعة إليه تعالى بعد انقضاء الدنيا وفنائها ومحاسبتهم على ما عملوا

وأعد للمحسنين جنات يحار العقل في تصوّر جمالها . وأعد للعاصين نارا تقشعر
الجلود من أهوالها .

فأما أهل الجنة فهم في نعيم دائم ، وسرور شامل ، متكئين فيها على الأرائك
نعم الثواب وحسنت مرتفقا .

كما أن أهل النار في عذاب دائم ، وشقاء ملازم . يسحبون فيها على وجوههم
ويساقون إليها خاشعين من الذل ، تتلقفهم ملائكة العذاب ، كما فضجت جلودهم
بدلوا جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب بما كانوا يكسبون .

قال تعالى : (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من
يحموم لا بارد ولا كريم ، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ، وكانوا يصرون على
الحنث العظيم ، وكانوا يقولون أمّدا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون
أو آباءنا الأولون ، قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم .
ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم ، فمالئون منها
البطون ، فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب اطميم هذا نزلهم يوم الدين)
ولا مرء في أن الحياة فترة قصيرة الأمد ، يتوقف عليها سعادة المرء أو
شقاؤه إلى الأبد ، فن عمل صالحاً في دنياه وحرص على الحياة فلم يصرفها إلا في
عمل صالح ينفعه ، وجهاد في سبيل الحق يرفعه ، فقد وفق إلى الحسن ، ومن
شغلته الدنيا بزخرفها الباطل ، وحطامها الزائل ، عن العمل لما فيه نجاته ، فقد
عرض نفسه للهوان ، يوم لا يؤخذ منه فدية ولا يقبل منه اعتذار .

وهل يستوى المحسن والمسيء في المكافأة والجزاء ؟ وهل في شرعة العدل
والانصاف أن يكون الأشرار كالأبرار على السواء ؟ كلا : تنزه الله سبحانه
وتعالى عن الظلم ، وهو أعدل الحاكمين . كيف وهو يقول : أم حسب الذين

اجتروا السيئات أن نجعلهم كالتدين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم؟
سواء ما يحكمون)

وقال جل شأنه : « أفنجعل المسلمين كالجحيم ؟ ما لكم ؟ ! كيف تحكمون ؟ ! »
ومما علا النفوس فرعا ورعبا أن الله تعالى يتجلى على العصاة والظالمين بصفات
قهره وجبروته . وأهل النار يمازوا صراخهم وعويلهم ، ويرتفع بالصوت بكاءهم
ونحيبهم . ويطلبون الرجوع إلى الدنيا ليتداركوا ما فرطوا فيه . ويعملوا على
تلافيه ، فيجيبهم جبار السموات والأرض قائلا : (إخشعوا فيها ولا تكلمون)
قال الله تعالى : (وحى يومئذ بحبهم ، يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له
الذكرى ، يقول ياليتنى قدمت لحياتى ، فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق
وناقه أحد)

وقال جل شأنه : (إن جهنم كانت مرصادا ، للطاغين مآبا ، لا بشئ فيها
أحقابا ، لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ، إلا حمىا وغساقا ، جزاء وفاتا ، لأنهم
كانوا لا يرجون حسابا ، وكذبوا بآياتنا كذابا ، وكل شئ أحصيناه كتابا ،
فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا)

كما أن القلب يكاد يطير فرحا إذا عرف أن أهل السعادة من الطائمين ، في
روح وريحان وجنة نعيم ، في جنة فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ،
ولا خطر على قلب بشر ، يتسامرون ويتذاكرون شئونهم حينما كانوا في دنياهم
وهم على سرر موضوعة متكىئ عليها متقابلين ، فيرون أنهم بحبس النفس عن
شهواتها ، وقهرها عن أداء واجباتها في مدة قصيرة نالت عزاً مقبلا ، ومليكا عظيما
فدستقل ما عملت ، وتستعظم ما منعت .

ولقد صدق الله تعالى حيث يقول : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدون فيها لا يبغون عنها حولا) وقال جل شأنه : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بأيمانهم فجري من تحنهم الأنهار في جنات النعيم ، دعواهم فيها صبيحانك اللهم ونحييتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

إسم الكتاب	أجزاؤه	صفحاته	موضوعه	ملاحظات
السمير الواعظ	الأول	٢٨٨	٢٢	مطبوع ونقد
» »	الثاني	٢٨٠	٦٨	مطبوع
جداول الميراث الشرعي				»
مفكرة القرن العشرين				طبعت وتقدت
الأسراء والمعراج		٣٠		مطبوع
تبيان غريب القرآن		٥٥٣		لم يطبع بعد
الوعظ الديني		١٠٠	٥٠	نشر في (الشفق)
الحقوق والواجبات		١٣٧		لم يطبع بعد
المحاضرات الدينية			شتي	» »
عجائب خلق الله في الأرض والسموات		٣٠٠	»	» »
إرشاد العباد إلى طريق الرشاد	الأول	٢٢٣	٣٥	» »
» » » » »	الثاني	٢٢٩	٣٨	» »
الحث على الفضيلة واجتناب الرذيلة		٥٣١	١٣٥	» »

الموعظة الأخلاقية — دروس التوحيد — الفقه في ركعة — الوعظ
الطرف والملح — العلوم والمعارف في جداول — أقوال الأطباء في الداء والدواء